مجـــلـة الحـــق للعلوم الشرعية والقانونية
Al-haq Journal for Sharia and Legal Sciences
تصدر عن كلية القانون – جامعة بني وليد – ليبيا
Website: https://www.al-haqjournal.ly/index.php/alhaq/index
المجلد الثالث عشر ــ العدد الثاني 2026 ــ الصفحات (165-175)
ISSN 3005 - 3919 معامل التأثير العربي 1.72 لسنة 2025 2.113 (ISI) لسنة 2025

The influence of the Qur'anic context on guiding the interpretive meaning according to Imam Ibn Ashur in Surat Al-Hujurat (An analytical study)

Ali Al-Taher Abdel-Qader Badawi*
Department of Islamic Studies, Faculty of Education - Al-Gharifa, University of Sabha, Ubari, Libya
ali.bidawi1@sebhau.edu.ly

أثر السياق القرآني في توجيه المعنى التفسيري عند الإمام ابن عاشور في سورة الحجرات (دراسة تحليلية)

علي الطاهر عبدالقادر بداوي *
قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية - الغريفة، جامعة سبها، أوباري، ليبيا

Received: 20-05-2026	Accepted: 24-06-2026	Published: 04-07-2026
Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الملخص:
يتناول هذا البحث موضوع أثر السياق القرآني في توجيه المعنى التفسيري عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، من خلال دراسة تحليلية تطبيقية على سورة الحجرات، وقد جاء البحث ليكشف عن المنزلة الرفيعة التي أولاها ابن عاشور للسياق بوصفه أداة منهجية رئيسة في الكشف عن المعاني التفسيرية، وربطه بمقاصد الشريعة ومقاصد السورة الكلية.
وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي في تتبع مواضع توظيف ابن عاشور للسياق في تفسير آيات سورة الحجرات، ثم تحليل تلك المواضع لبيان كيفية تأثير السياق في توجيه المعنى وترجيح بعض الأقوال التفسيرية على بعض. وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج، من أبرزها أن ابن عاشور جعل السياق أصلاً من أصول تفسيره المقاصدي، وأنه وظف أنواعاً متعددة من السياق في سورة الحجرات شملت سياق الآية وسياق المقطع وسياق السورة كاملة، وأن هذا التوظيف كان له أثر بيّن في ضبط المعنى وتوجيهه نحو المقصد الشرعي من الآيات.

الكلمات الدالة: السياق القرآني، ابن عاشور، التحرير والتنوير، سورة الحجرات، المعنى التفسيري.

Abstract:
This research examines the impact of Qur'anic context on interpretive meaning in the work of Imam Muhammad al-Tahir Ibn Ashur, through an applied analytical study of Surah al-Hujurat. The research aims to reveal the high regard Ibn Ashur held for context as a primary methodological tool for uncovering interpretive meanings and linking it to the objectives of Islamic law (maqasid al-shari'ah) and the overall objectives of the surah.

The research employs an inductive-analytical approach to trace Ibn Ashur's use of context in interpreting the verses of Surah al-Hujurat. It then analyzes these instances to demonstrate how context influences the interpretation and the preference given to certain interpretations over others. The research arrives at several conclusions, most notably that Ibn Ashur considered context a fundamental principle of his purposive interpretation. He utilized various types of context in Surah al-Hujurat, including verse-level, section-level, and surah-wide contexts. This application of context had a clear impact on clarifying and guiding the meaning towards the legal objectives of the verses.

Keywords The Qur'anic context, Ibn Ashur, Al-Tahrir wa Al-Tanwir, Surah Al-Hujurat, the interpretive meaning.

المُقَدّمَةُ:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب هداية ونظام حياة، أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين، ليتدبره الناس ويستخرجوا كنوزه ومعانيه، ولا يتم فهم مراد الله تعالى من كتابه على الوجه الصحيح إلا بأدوات منهجية دقيقة، يأتي في مقدمتها اعتبار السياق، إذ إن الآية القرآنية لا تُفهم منعزلة عما قبلها وما بعدها، بل تنتظم مع أخواتها في نسق واحد متكامل يخدم غرضاً ومقصداً واحداً، ولذلك اعتنى المفسرون قديماً وحديثاً بهذه الأداة، وتفاوتت درجة عنايتهم بها بحسب مناهجهم ومشاربهم العلمية.

ويُعدّ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله من أبرز من اعتنى بالسياق عناية بالغة في تفسيره الموسوم بـ(التحرير والتنوير)، حتى غدا السياق عنده أصلاً منهجياً يوجه به المعنى ويرجح به بين الأقوال، وينسج به الصلة بين الآيات ومقاصد السور، فهو لا يقف عند حدود التفسير اللفظي أو الروائي المجرد، بل يتجاوز ذلك إلى استقراء نظم الآيات وتناسبها، وربط ذلك بمقصد السورة الجامع، بما يجعل تفسيره نموذجاً فريداً في توظيف السياق توظيفاً منهجياً منضبطاً.

وقد اختار الباحث سورة الحجرات ميداناً تطبيقياً لهذه الدراسة؛ لما تحمله هذه السورة الكريمة من آداب اجتماعية وأخلاقية وإيمانية متنوعة، تبدأ بآداب التعامل مع رسول الله ﷺ، وتمر بآداب التثبت من الأخبار والإصلاح بين المتنازعين، واجتناب السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وسوء الظن والتجسس والغيبة، وتنتهي بآية التعارف الجامعة وآية التفريق بين الإيمان والإسلام، وهي موضوعات متعددة الظاهر، لكنها متآلفة الباطن حول مقصد كلي واحد هو تهذيب المجتمع المسلم، الأمر الذي يجعلها حقلاً خصباً لإبراز أثر السياق في توجيه المعنى وربط الأجزاء بالكل.

ومن هنا جاء هذا البحث ليجيب عن إشكالية جوهرية مؤداها: كيف وظف الإمام ابن عاشور أداة السياق في الكشف عن المعنى التفسيري لآيات سورة الحجرات؟ وما الأثر الذي تركه هذا التوظيف في توجيه المعنى وترجيح الأقوال؟ سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد في هذا البحث المتواضع، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين في حقل الدراسات القرآنية.

أهمية البحث

- تتجلى أهمية هذا البحث في تعلقه بكتاب الله تعالى، وهو أشرف موضوع تُصرف فيه الأوقات وتُبذل فيه الجهود.

- إبراز منزلة السياق بوصفه أداة منهجية جليلة من أدوات التفسير، لا يستغني عنها المفسر في استجلاء المعنى الصحيح.

تسليط الضوء على منهج الإمام ابن عاشور في توظيف السياق، وهو منهج يُعدّ من أنضج المناهج التفسيرية المعاصرة نسبياً وأدقها صناعة.

- ربط الدراسة النظرية للسياق بالتطبيق العملي من خلال سورة كاملة، بما يمنح البحث طابعاً تحليلياً تطبيقياً لا نظرياً مجرداً.
- إسهام البحث في إثراء المكتبة التفسيرية بدراسة تخصصية تجمع بين الجانب التأصيلي لمفهوم السياق والجانب التطبيقي في سورة الحجرات.
- مواكبة البحث للحاجة العلمية إلى دراسات تُعنى بإبراز الأبعاد المقاصدية للتفسير، وبيان أثر السياق في خدمة المقاصد الشرعية.
- **أهداف البحث**
- بيان مفهوم السياق لغة واصطلاحاً، وأنواعه عند علماء التفسير وأصول الفقه.
- التعريف بمنهج الإمام ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير)، وبيان مكانة السياق فيه.
- استقراء مواضع توظيف السياق في تفسير آيات سورة الحجرات عند ابن عاشور.
- تحليل أثر السياق في توجيه المعنى التفسيري وترجيح الأقوال في نماذج مختارة من السورة.
- استخلاص أهم الخصائص المنهجية التي ميزت توظيف ابن عاشور للسياق في سورة الحجرات.
- **مشكلة البحث وتساؤلاته**
- تتمثل مشكلة البحث في أن كثيراً من الدراسات التي تناولت تفسير ابن عاشور اكتفت بالحديث عن السياق حديثاً عاماً أو نظرياً، دون الوقوف وقفة تحليلية تطبيقية متأنية على سورة بعينها تُظهر كيفية اشتغال هذه الأداة في توجيه المعنى وترجيح الأقوال آية بعد آية، وقد اختار الباحث سورة الحجرات لتنوع موضوعاتها وتعدد المناسبات فيها، بما يجعلها اختباراً دقيقاً لمدى فاعلية السياق في ربط أجزاء السورة بمقصدها الكلي.
- ويحاول البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:
- ما مفهوم السياق عند علماء التفسير، وما أنواعه؟
- ما مكانة السياق في المنهج المقاصدي عند الإمام ابن عاشور؟
- كيف وظف ابن عاشور السياق في تفسير آيات سورة الحجرات؟
- ما أثر هذا التوظيف في توجيه المعنى التفسيري وترجيح بعض الأقوال على بعض؟
- ما أبرز الخصائص المنهجية التي يمكن استخلاصها من تعامل ابن عاشور مع سياق سورة الحجرات؟
- **منهج البحث**
- اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال استقراء مواضع توظيف السياق في تفسير الإمام ابن عاشور لسورة الحجرات من كتابه (التحرير والتنوير)، ثم تحليل تلك المواضع وبيان أثرها في توجيه المعنى، مع الاستعانة بالمنهج الوصفي في التعريف بمفهوم السياق وأنواعه وبمنهج ابن عاشور التفسيري العام، وبالمنهج المقارن أحياناً عند عرض بعض الأقوال التفسيرية الأخرى لإبراز أثر السياق في الترجيح.

- **الدراسات السابقة**

- من الدراسات التي تناولت السياق القرآني عند ابن عاشور بصورة عامة: دراسة محمد عبد الوهاب الراسخ الموسومة بـ«السياق القرآني وأثره في التفسير: دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور»، وهي دراسة تناولت السياق من جهته النظرية العامة، وطبقت بعض ملامحه على نماذج متفرقة من تفسير ابن عاشور دون اختصاص سورة بعينها (الراسخ، د.ت). ويختلف البحث الحالي عن هذه الدراسة في كونه مقتصراً على سورة الحجرات وحدها دراسة تحليلية مستقصية لجميع آياتها.
- كما تناول الباحثان نشوان عبده ورضوان الأطرش موضوع «السياق القرآني وأثره في خدمة التفسير المقاصدي عند ابن عاشور»، وقد ركّزا فيه على العلاقة بين السياق والمقاصد عند ابن عاشور من جهة نظرية عامة، وبيّنا أنواع السياق التي يستدل بها المفسرون، وأشارا إلى عناية ابن عاشور الخاصة بالسياق وجعله مدخلاً لتوجهه المقاصدي في التفسير (عبده والأطرش، 2014). ويفيد البحث الحالي من هذا التأصيل النظري، وينتقل به إلى حقل تطبيقي محدد هو سورة الحجرات.
- وفي جانب تأصيل مفهوم السياق عند الأصوليين، تُعدّ دراسة فاطمة بوسلامة «السياق عند الأصوليين: المصطلح والمفهوم» من الدراسات المهمة التي تتبعت جذور مصطلح السياق في الفكر الأصولي، وبيّنت أن الأصوليين وإن لم يضعوا له تعريفاً مستقلاً جامعاً مانعاً، إلا أن جهودهم في توظيفه كانت بالغة الأهمية في الكشف عن مراد الشارع (بوسلامة، د.ت)
- وتناول موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية في مقال «عناية ابن عاشور بالدلالة الإفرادية للألفاظ القرآنية» جانباً آخر من عناية ابن عاشور بالمفردة القرآنية وربطها بسياقها العام، وأشار إلى دقة ابن عاشور في تتبع أصل اللفظ ومعناه في السياقات المختلفة التي وردت فيها (تفسير للدراسات القرآنية، د.ت.(
- وتُعدّ رسالة سعيد بن محمد الشهراني «السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة»، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، من الدراسات التي تناولت السياق عند مدرسة تفسيرية معينة غير مدرسة ابن عاشور المقاصدية، مما يفتح المجال للمقارنة بين توظيف السياق عند المدارس التفسيرية المختلفة (الشهراني، 2006).
- ويتميز البحث الحالي عن هذه الدراسات جميعاً بكونه دراسة تحليلية مقصورة على سورة واحدة هي سورة الحجرات، تستقصي آياتها آية ، وتحلل كيفية توظيف ابن عاشور للسياق فيها، وأثر ذلك في توجيه المعنى وترجيح الأقوال، وهو ما لم تفرد له الدراسات السابقة بحثاً مستقلاً في حدود اطلاع الباحث.
- **خطة البحث**

يقع البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

- التمهيد: ويشتمل على تعريف السياق لغة واصطلاحاً وأنواعه، والتعريف بابن عاشور ومنهجه في التفسير، والتعريف بسورة الحجرات.
- **المبحث الأول:** منزلة السياق في المنهج المقاصدي عند الإمام ابن عاشور.
- **المبحث الثاني:** أثر السياق في توجيه المعنى التفسيري في سورة الحجرات (دراسة تطبيقية).
- **المبحث الثالث:** الخصائص المنهجية لتوظيف ابن عاشور للسياق في سورة الحجرات، وجدول تحليلي مقارن.

- **أولاً: مفهوم السياق لغة واصطلاحاً وأنواعه**

السياق في اللغة مأخوذ من مادة (س و ق) التي تدل على التتابع، يقال: تساوقت الإبل، أي: تتابعت بعضها إثر بعض، وسائق الإبل هو الذي يقودها ويحدوها من ورائها، فالمعنى اللغوي يدور على معنى التتابع والانتظام (ربانيون، د.ت).

أما في الاصطلاح، فلم يفرد المتقدمون من العلماء للسياق تعريفاً مستقلاً جامعاً، وإنما وردت إشارات دالة عليه في ثنايا كلامهم، ومن أبرزها قول الإمام الزركشي في *البحر المحيط*: «ويجب اعتبار ما دل عليه السياق والقرائن؛ لأن بذلك يتبين مقصود الكلام» (الزركشي، 1994، ج2)، وهو نص صريح في أن السياق هو الذي يكشف عن مقصود المتكلم من كلامه. وقريب منه ما ذكره ابن دقيق العيد من أن «السياق مبيّن للمجملات، مرجّح لبعض المحتملات، مؤكّد للواضحات» (ربانيون، د.ت)، وفي هذا بيان لوظائف السياق الثلاث: البيان، والترجيح، والتوكيد.

ومن التعريفات الاصطلاحية المتأخرة تعريف من عرّف السياق بأنه: «ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه» (ربانيون، د.ت)، وعرّفه آخرون بأنه: «الكلام المتتابع إثره على إثر بعض، المقصود للمتكلم، والذي يلزم من فهمه فهم شيء آخر» (ربانيون، د.ت)، ويُلاحظ على هذه التعريفات أن بعضها اقتصر على الجانب اللفظي أو المقالي للسياق (السباق واللحاق)، ولم يلتفت إلى سياق الحال والمقام المحيط بالخطاب.

وقد قسّم الباحثون المعاصرون السياق القرآني إلى أربعة أنواع رئيسة: سياق الآية، وهو النظر في دلالة الآية من أولها إلى آخرها بوصفها موضوعاً متكاملاً؛ وسياق المقطع أو مجموعة الآيات المرتبطة بموضوع واحد؛ وسياق السورة بكاملها؛ وسياق القرآن كله بعمومه (مركز تفسير للدراسات القرآنية، د.ت). وهذا التقسيم يفيد الباحث في تتبع مستويات توظيف ابن عاشور للسياق في سورة الحجرات، إذ سيتضح أنه وظف هذه الأنواع مجتمعة بحسب مقتضى كل آية.

ثانياً: التعريف بالإمام ابن عاشور ومنهجه في التفسير

هو الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، المتوفى سنة 1393هـ، شغل منصب شيخ الإسلام ورئيس المفتين المالكيين بتونس، وكان مفسراً ولغوياً ونحوياً وأديباً، ومن أبرز دعاة الإصلاح الديني والتعليمي في القرن الرابع عشر الهجري (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت).

وتفسيره المعروف هو «*التحرير والتنوير*»، وعنوانه الكامل: «*تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*»، وقد أفنى في تأليفه قرابة خمسين عاماً، وأشار في مقدمته إلى أن منهجه أن يقف موقف الحَكَم بين طوائف المفسرين، فيرجّح تارة لهذا الفريق وتارة لذاك (المكتبة الشاملة، د.ت). وقد طُبع الكتاب أول مرة بتونس عن الدار التونسية للنشر سنة 1984م في ثلاثين جزءاً موافقة لأجزاء القرآن الكريم (ابن عاشور، 1984)، كما صدرت له طبعات أخرى منها طبعة قطر بتحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وعبد العال السيد إبراهيم (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت).

ويقوم منهج ابن عاشور التفسيري على أسس عدة، من أبرزها: العناية بتحرير المعنى اللغوي والبلاغي للألفاظ، والاستشهاد بأشعار العرب، وعرض القراءات وتوجيهها، وذكر أقوال الفقهاء وأدلتهم في آيات الأحكام مع الترجيح دون تعصب لمذهب معين، والنقد العلمي لكثير من الروايات الضعيفة والإسرائيليات الواردة في كتب التفسير، مع تذييل تفسير الآيات أحياناً بلمحات إشارية (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت). ومن أبرز ما تميز به هذا المنهج اعتماده الأصيل على مقاصد الشريعة ومقاصد السور، وجعل السياق مدخلاً رئيساً لبيان هذه المقاصد، وهو ما سيفصّله المبحث الأول من هذا البحث (عبده والأطرش، 2014).

ثالثاً: التعريف بسورة الحجرات

سورة الحجرات سورة مدنية باتفاق أهل التأويل، وقد حكى السيوطي في الإتقان قولاً شاذاً بأنها مكية لا يُعرف قائله (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت). وسُميت بهذا الاسم لورود لفظ (الحجرات) فيها، ونزلت في قصة

نداء بني تميم رسول الله ﷺ من وراء حجراته، فعرفت بهذه الإضافة، وليس لها اسم آخر معروف (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت).

وهي أول سور المفصَّل على الراجح عند جمهور العلماء، وعدد آياتها ثماني عشرة آية، وقد اشتملت على طائفة من الآداب الشرعية الجليلة، ابتداء من آداب التعامل مع رسول الله ﷺ، ومروراً بآداب التثبت من الأخبار، والإصلاح بين المتنازعين من المؤمنين، والنهي عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، واجتناب سوء الظن والتجسس والغيبة، وانتهاء بآية التعارف الجامعة، وآية بيان حقيقة الإيمان والإسلام (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت). وقد لحظ ابن عاشور أن هذه الموضوعات المتنوعة الظاهر تجمعها خيوط سياقية دقيقة تربطها بمقصد كلي واحد، هو تهذيب أخلاق الأمة وتنظيم علاقاتها الاجتماعية على أساس التقوى، وهذا ما سيتضح جلياً في المبحث التطبيقي من هذا البحث.

المبحث الأول: منزلة السياق في المنهج المقاصدي عند الإمام ابن عاشور

أولاً: أدلة اعتماد ابن عاشور على السياق

أولى ابن عاشور السياق عناية بالغة تفوق عناية كثير من المفسرين المتقدمين والمتأخرين به، حتى عدّه الباحثون أساساً من أسس منهجه التفسيري، فقد جعل من منهجيته المقاصدية أن عدّ السياق أصلاً في التفسير، واتخذه مدخلاً لتوجهه المقاصدي العام (عبده والأطرش، 2014). ويظهر ذلك جلياً في مقدمات كتابه (التحرير والتنوير)، حيث أشار في مواضع عدة إلى أهمية هذا المصطلح وضرورة اعتباره عند تفسير الآيات (عبده والأطرش، 2014).

ولم يكتف ابن عاشور بالإشارة النظرية إلى السياق، بل طبّقه تطبيقاً دقيقاً في تفسيره، فتراه يستحضر ما قبل الآية وما بعدها عند تفسير أي لفظ أو تركيب، ويربط ذلك بموضوع السورة العام، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في سياق الحديث عن الإحياء والإماتة، يبيّن أن ترتيب الألفاظ في الآية جاء متسقاً مع سياقها لغرض بلاغي دقيق يخدم مقصد الاستدلال (منار الإسلام، د.ت)، وهذا يدل على أن السياق عنده ليس مجرد أداة شكلية، بل هو مسلك استدلالي يوجه به المعنى ويعلل به اختيار الألفاظ.

ثانياً: علاقة السياق بالمقاصد عند ابن عاشور

يُعدّ الربط بين السياق والمقاصد من أخص خصائص منهج ابن عاشور، فهو يرى أن التفسير المقاصدي هو ذلك النوع من التفسير الذي يُعنى ببيان الأغراض والمقاصد التي تضمنها القرآن، وشُرعت من أجلها أحكامه، مع مراعاة قواعد التفسير بالمأثور والسياق والمناسبات (عبده والأطرش، 2014). فالسياق عنده وسيلة لبلوغ غاية أعظم هي إدراك مقصد السورة الكلي، ومقصد الآية الجزئي المنسجم معه، وبذلك يصبح السياق حلقة وصل بين تفسير الألفاظ الجزئية وفقه المقاصد الكلية.

ومن أمثلة ذلك عنايته بمقدمات كل سورة، إذ يفتتح تفسيره لكل سورة ببيان مقاصدها العامة، ثم يعود عند تفسير كل آية ليربطها بذلك المقصد الكلي، وهذا المسلك هو ما يفسر شدة عنايته بسياق السورة بكاملها، لا سياق الآية المفردة فحسب (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت).

ثالثاً: أنواع السياق الذي وظفه ابن عاشور

يمكن للباحث المتتبع لتفسير ابن عاشور أن يلحظ توظيفه لأنواع السياق الثلاثة الآتية بصورة متكاملة:

سياق الآية: ويظهر في تحليله الدقيق لتركيب الجملة الواحدة، وبيان علاقة أجزائها ببعضها، كما في تحليله لآيات الأحكام في سورة الحجرات وربطه كل جزء بالآخر.

سياق المقطع: ويظهر في ربطه بين الآيات المتتالية التي تعالج موضوعاً واحداً، كمقطع آداب المجالس والتخاطب، ومقطع آداب التعامل مع الأخبار والمتنازعين.

سياق السورة: ويظهر في ربطه مطلع السورة بخاتمتها، وبيان أن جميع موضوعاتها تصب في مقصد واحد هو بناء المجتمع المسلم على أسس التقوى والأخوة، وهذا هو أعمق مستويات توظيفه للسياق وأكثرها دلالة على نضج منهجه المقاصدي.

وخلاصة هذا المبحث أن السياق عند ابن عاشور ليس أداة تفسيرية جزئية يُلجأ إليها عرضاً، بل هو أصل منهجي كلي ينتظم به تفسيره من أوله إلى آخره، وهو ما سيتضح بجلاء أكبر عند التطبيق العملي على سورة الحجرات في المبحث التالي.

المبحث الثاني: أثر السياق في توجيه المعنى التفسيري في سورة الحجرات (دراسة تطبيقية)

يتناول هذا المبحث عدداً من النماذج التطبيقية المختارة من سورة الحجرات، يتضح من خلالها كيف وظف ابن عاشور السياق في توجيه المعنى وترجيح بعض الأقوال التفسيرية على بعض.

النموذج الأول: افتتاح السورة بالنداء الإيماني

افتتحت السورة بقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}**. وقد لاحظ ابن عاشور أن الافتتاح بنداء المؤمنين له دلالة سياقية دقيقة، إذ قال: «الافتتاح بنداء المؤمنين للتنبيه على أهمية ما يرد بعد ذلك النداء لتترقبه أسماعهم بشوق» (ابن عاشور، 1984، ج26)، وبيّن أن وصفهم بـ{الذين آمنوا} جارٍ مجرى اللقب لهم مع ما يؤذن به أصل هذا الوصف من أهليتهم لتلقي هذا الخطاب بالامتثال (ابن عاشور، 1984، ج26). فالسياق هنا -سياق افتتاح السورة بالنداء- هو الذي وجّه المعنى إلى أن ما سيرد بعده من أحكام وآداب هو أمر عظيم الشأن يستحق هذا التصدير المهيب.

وقد ربط ابن عاشور بين هذا المقطع الافتتاحي ورواية سبب النزول المتعلقة بقصة بعث النبي ﷺ سرية، إذ إن السياق التاريخي والمقالي معاً يوجهان إلى أن معنى (التقدم بين يدي الله ورسوله) هو المبادرة بأمر من أمور الأمة دون انتظار توجيه الشرع، وهو معنى عام يشمل هذه الواقعة الخاصة ويتجاوزها (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت).

النموذج الثاني: آية التثبت من خبر الفاسق

في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}**، يربط ابن عاشور هذه الآية بسياقها السابق المتعلق بالنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، فكلا الموضوعين ينتظمان في مقصد واحد هو ضبط سلوك الأمة تجاه القرارات والأخبار المصيرية، فالآية الأولى تنهى عن المبادرة الفعلية، والثانية تنهى عن المبادرة إلى تصديق الخبر دون تثبت، وبذلك يتضح أن السياق العام للمقطع هو تربية الأمة على التأني والتثبت قبل الإقدام على أي أمر ذي بال (ابن عاشور، 1984، ج26).

النموذج الثالث: آيات الإصلاح بين المؤمنين

وفي قوله تعالى: **{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}**، يوجه السياق المعنى إلى أن هذا الحكم امتداد طبيعي لمقصد التثبت السابق، إذ إن غياب التثبت من الأخبار قد يفضي إلى نزاع واقتتال بين طوائف المؤمنين، فجاء حكم الإصلاح مترتباً سياقياً على ما قبله، وهذا يُظهر تماسك السورة ووحدة موضوعها رغم تعدد الأحكام الجزئية فيها، وهو ما نبّه إليه ابن عاشور في ربطه المتصل بين هذه المقاطع (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت).

النموذج الرابع: النهي عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب

في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ...وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ}**، بيّن ابن عاشور أن التفريق بين صيغتي (لا تلمزوا) و(لا تنابزوا) له دلالة سياقية دقيقة، فقال إن اللمز «بصيغة الفعل الواقع من جانب واحد»، أما التنابز فهو «بصيغة الفعل الواقع من جانبين»، وعلّل ذلك بأن اللمز أقل وقوعاً من التنابز الذي كان شائعاً في قبائل الجاهلية (إسلام ويب، د.ت). وهذا مثال دقيق على أثر السياق اللغوي الداخلي للآية (سياق الآية) في توجيه فهم الفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة.

النموذج الخامس: اجتناب كثير من الظن والتجسس والغيبة

وفي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا}، يظهر السياق مترابطاً مع ما قبله من النهي عن السخرية واللمز، فكل هذه الأحكام تنتظم في مقصد واحد هو صيانة أعراض المؤمنين وحفظ الروابط الاجتماعية بينهم من كل ما يفسدها، من قول أو فعل أو نية،

وهو ما يؤكد أن السورة تسير وفق بناء سياقي متدرج من الأخف إلى الأشد في صور الإيذاء، من السخرية اللفظية إلى التجسس والغيبة اللذين يمسان الخصوصية والعرض (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت).

النموذج السادس: آية التعارف والتقوى

في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، ينتقل السياق من خطاب (الذين آمنوا) إلى خطاب (الناس) عموماً، وهو انتقال دال على أن هذا الحكم كلي عام يتجاوز خصوصية المؤمنين إلى عموم بني آدم، وقد وردت روايات في سبب نزولها تتصل بخطبة النبي ﷺ يوم فتح مكة (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت)، وربط ابن عاشور هذا المقطع بما قبله من أحكام صيانة الأعراض، مبيناً أن مرد التفاضل بين الناس ليس النسب أو الحسب، بل التقوى وحدها، وبذلك يأتي هذا المقطع تتويجاً سياقياً لمقاصد السورة السابقة كلها، إذ إن أسباب السخرية والتنابز والتفاخر غالباً ما تعود إلى اعتبارات نسبية أو قبلية، فجاءت هذه الآية لتقطع دابر هذه الأسباب من جذورها.

النموذج السابع: آية التفريق بين الإيمان والإسلام

وفي ختام السورة، قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا}، يربط ابن عاشور هذا الختام بمطلع السورة الذي افتُتح بنداء (الذين آمنوا)، فيتبين أن السورة بأكملها -من مطلعها إلى خاتمتها- تدور حول تحديد ملامح الإيمان الحقيقي القائم على الأدب مع الله ورسوله والتثبت من الأخبار وصيانة الأعراض والتقوى، فمن لم يتحقق فيه ذلك فهو دون منزلة الإيمان الكامل وإن كان مسلماً ظاهراً، وهذا الختام السياقي يكشف عن دقة البناء الموضوعي في السورة، وأن مقصدها الكلي إنما هو تربية الأمة على مقام الإيمان الحقيقي بعد تحليتها بتلك الآداب المفصلة (قرآن كريم - موقع التفسير، د.ت).

ويتبين من هذه النماذج مجتمعة أن السياق عند ابن عاشور لم يكن أداة تُستحضر عند آية بعينها فحسب، بل كان ناظماً كلياً يربط مطلع السورة بخاتمتها، ويكشف عن مقصدها الجامع، وهو ما جعل تفسيره لسورة الحجرات نموذجاً بارزاً على فقه المناسبة والسياق في خدمة المعنى التفسيري.

المبحث الثالث: الخصائص المنهجية لتوظيف ابن عاشور للسياق في سورة الحجرات

من خلال النماذج التطبيقية السابقة، يمكن استخلاص جملة من الخصائص المنهجية التي طبعت توظيف الإمام ابن عاشور للسياق في تفسيره لسورة الحجرات، ويوضح الجدول الآتي أبرز هذه النماذج ومستوى السياق الموظف فيها وأثره في توجيه المعنى:

م	الآية / الموضوع	نوع السياق الموظف	أثر السياق في توجيه المعنى
1	النداء الافتتاحي «لا تقدموا بين يدي الله ورسوله»	سياق مطلع السورة	توجيه المعنى إلى تعظيم شأن الأحكام الآتية بعد النداء
2	آية التثبت من نبأ الفاسق	سياق المقطع (اتصالها بما قبلها)	ربط التثبت من الأخبار بالنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله
3	آية الإصلاح بين الطائفتين المقتتلتين	سياق المقطع	بيان أن الاقتتال نتيجة متوقعة لغياب التثبت
4	النهي عن السخرية واللمز والتنابز	سياق الآية (الصيغ الفعلية)	تمييز دلالة اللمز عن التنابز بحسب صيغة الفعل
5	اجتناب الظن والتجسس والغيبة	سياق المقطع	تدرج صور إيذاء الأعراض من الأخف إلى الأشد
6	آية التعارف والتقوى	سياق السورة (انتقال الخطاب من المؤمنين إلى الناس)	جعل التقوى ميزان التفاضل بديلاً عن اعتبارات النسب
7	آية التفريق بين الإيمان والإسلام	سياق ختام السورة وربطه بمطلعها	الكشف عن المقصد الكلي للسورة: بناء الإيمان الحقيقي

أبرز الخصائص المنهجية

- الشمولية: توظيف ابن عاشور لأنواع السياق الثلاثة (الآية، والمقطع، والسورة) مجتمعة، بحيث لا يقتصر على مستوى واحد دون آخر.
- الترابط المقصدي: ربط جميع مقاطع السورة بمقصد كلي واحد، بحيث تبدو السورة بناء موضوعياً متكاملاً لا مجموعة أحكام متفرقة.
- الدقة اللغوية: توظيف السياق في تمييز الفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة، كما في التفريق بين اللمز والتنابز.
- الاستثمار في الترجيح: الاعتماد على السياق مرجحاً بين الأقوال التفسيرية المتعددة، لا سيما في مسائل أسباب النزول ومتعلقات الأحكام.
- التكامل مع الأثر: الجمع بين اعتبار السياق واعتبار الروايات الواردة في أسباب النزول، دون تغليب أحدهما على الآخر تغليباً مطلقاً.

وخلاصة القول إن منهج ابن عاشور في توظيف السياق في سورة الحجرات يمثل نموذجاً ناضجاً للتفسير المقاصدي المعاصر نسبياً، الذي يوازن بين التحليل اللغوي الدقيق والنظرة الكلية الشاملة لمقاصد السور، وهو ما جعل تفسيره مرجعاً مهماً للباحثين في هذا الحقل من الدراسات القرآنية.

بعد هذه الجولة التحليلية في أثر السياق القرآني في توجيه المعنى التفسيري عند الإمام ابن عاشور في سورة الحجرات، يمكن للباحث أن يجمل أهم النتائج والتوصيات فيما يأتي:

أولاً: أهم النتائج

- السياق أداة منهجية أصيلة عند علماء التفسير وأصول الفقه، وإن لم يفردوا له تعريفاً اصطلاحياً جامعاً مانعاً مستقلاً، إلا أن جهودهم في توظيفه كانت بالغة الأثر في الكشف عن مراد الله تعالى.
- جعل الإمام ابن عاشور السياق أصلاً منهجياً كلياً في تفسيره (التحرير والتنوير)، لا أداة جزئية عارضة، وربطه ربطاً وثيقاً بمنهجه المقاصدي.
- وظف ابن عاشور في سورة الحجرات أنواع السياق الثلاثة: سياق الآية، وسياق المقطع، وسياق السورة، توظيفاً متكاملاً منسجماً.
- كشف السياق عند ابن عاشور عن وحدة موضوعية جامعة لسورة الحجرات، مؤداها بناء المجتمع المسلم على أسس التقوى والأخوة وصيانة الأعراض.
- كان للسياق أثر بيّن في ترجيح بعض الأقوال التفسيرية، وفي بيان الفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة كاللمز والتنابز.
- ربط ابن عاشور مطلع سورة الحجرات بخاتمتها ربطاً سياقياً دقيقاً، بما يكشف عن مقصدها الكلي في تحديد ملامح الإيمان الحقيقي.

ثانياً: التوصيات

- توصي الدراسة بإجراء دراسات تطبيقية مماثلة على سور أخرى من القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور، لإبراز أثر السياق فيها.
- توصي بعقد دراسات مقارنة بين توظيف ابن عاشور للسياق وتوظيف غيره من المفسرين المعاصرين له أو المتأخرين عنه.
- توصي بإفراد دراسة مستقلة لعلاقة السياق بالمقاصد عند ابن عاشور في مجمل تفسيره، لا في سورة واحدة فحسب.
- توصي بتوجيه طلاب الدراسات القرآنية العليا إلى العناية بمنهج ابن عاشور بوصفه نموذجاً رائداً في التفسير المقاصدي المعاصر نسبياً.

وختاماً، فإن ما تم عرضه في هذا البحث لا يعدو أن يكون غيضاً من فيض ما تزخر به موسوعة (التحرير والتنوير) من كنوز منهجية، وحسب الباحث أن يكون قد وُفّق إلى إبراز جانب من جوانب هذا المنهج العظيم، والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لطلاب العلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع.

- ابن عاشور، محمد الطاهر .(1984) .التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)ج .(26 .الدار التونسية للنشر.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر .(1999) .تفسير القرآن العظيم)سامي بن محمد سلامة، محقق؛ ط .(2 .دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله .(1994) .البرهان في علوم القرآن)محمد أبو الفضل إبراهيم، محقق؛ ج .(2 .دار إحياء الكتب العربية؛ دار المعرفة.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .(1974) .الإتقان في علوم القرآن)ط .(1 .الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الطبري، محمد بن جرير .(2000) .جامع البيان عن تأويل آي القرآن)أحمد محمد شاكر، محقق؛ ط .(1 .مؤسسة الرسالة.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد .(1991) .أسباب النزول)كمال بسيوني زغلول، محقق .(دار الكتب العلمية.
- بوسلامة، فاطمة) .د .ت .(.السياق عند الأصوليين: المصطلح والمفهوم] بحث منشور .[بوابة الرابطة المحمدية للعلماء . https://arrabita.ma
- الراسخ، محمد عبد الوهاب) .د .ت .(.السياق القرآني وأثره في التفسير: دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور]كتاب إلكتروني .[منصة قرآنبيديا https://quranpedia.net .
- الشهراني، سعيد بن محمد .(2006) .السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة]رسالة دكتوراه غير منشورة .[كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.
- عبده، نشوان، والأطرش، رضوان .(2014) .السياق القرآني وأثره في خدمة التفسير المقاصدي عند ابن عاشور] بحث منشور .[ملتقى أهل التفسير https://mtafsir.net .
- مركز تفسير للدراسات القرآنية) .د .ت .(.عناية ابن عاشور بالدلالة الإفرادية للألفاظ القرآنية: نظرات وتأملات]مقالة .[موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية https://tafsir.net .
- المكتبة الشاملة) .د .ت .(.كتاب تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير): ترجمة المؤلف والتعريف بالتفسير .المكتبة الشاملة الرقمية https://shamela.ws .
- موقع إسلام ويب) .د .ت .(.التحرير والتنوير - سورة الحجرات: قوله تعالى "ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب "]مقالة .[مكتبة إسلام ويب الإلكترونية https://islamweb.net .
- موقع التفسير) .د .ت .(.التحرير والتنوير لابن عاشور - تفسير سورة الحجرات (الآيات 1-18 .(المكتبة الإلكترونية للتفاسير http://quran-tafsir.net .
- موقع ربانيون) .د .ت .(.معنى السياق وأقسامه وأهميته]مقالة .[موقع ربانيون الإلكتروني . https://rabbanioon.com
- موقع منار الإسلام) .د .ت .(.السياق القرآني عند ابن عاشور وأثره في قبول الأحاديث وردّها]مقالة .[موقع منار الإسلام الإلكتروني https://islamanar.com .

References

- Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir: Tahrir al-Ma'na al-Sadid wa Tanwir al-'Aql al-Jadid min Tafsir al-Kitab al-Majid (vol. 26). Tunisian Publishing House.
- Ibn Kathir, Imad al-Din Ismail ibn Umar. (1999). Tafsir al-Qur'an al-'Azim (Sami ibn Muhammad Salama, ed.; 2nd ed.). Dar Tayyiba for Publishing and Distribution.
- Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad ibn Abdullah. (1994). Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an (Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, ed.; vol. 2). Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyya; Dar al-Ma'rifa.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman ibn Abi Bakr. (1974). Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an (1st ed.). Egyptian General Book Organization.

- Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (2000). Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayi al-Qur'an (Ahmad Muhammad Shakir, ed.; 1st ed.). Al-Risalah Foundation.
- Al-Wahidi, Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad. (1991). The Reasons for Revelation (Kamal Basyouni Zaghloul, editor). Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- Ibrahim, E. E. S. (2026). The purpose of facilitation and its manifestations through the ten canonical readings. *Al-haq Journal for Sharia and Legal Sciences*, *13*(1), 661-677.
- Bouslama, Fatima. (n.d.). Context According to the Jurists: Terminology and Concept [Published Research]. Al-Rabita al-Muhammadiyya Portal for Scholars. https://arrabita.ma
- Al-Rasikh, Muhammad Abd al-Wahhab. (n.d.). The Qur'anic Context and Its Impact on Interpretation: A Theoretical and Applied Study Through Tahir Ibn Ashur's Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir [E-book]. Qur'anpedia Platform. https://quranpedia.net
- Khalid, L. E. S. (2026). Interpretation of Surah Al-Jumu'ah by Sheikh Muhammad Salem AlShuwayrif, may God have mercy on him, d. 2012 CE/1433 AH. *Al-haq Journal for Sharia and Legal Sciences*, *13*(1), 533-547.
- Al-Shahrani, Saeed bin Muhammad. (2006). The Qur'anic Context and Its Impact on the Interpretation of the Modern Rationalist School [Unpublished Doctoral Dissertation]. Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm al-Qura University.
- Abdo, Nashwan, and Al-Atrash, Radwan. (2014). The Qur'anic Context and Its Impact on Serving the Purpose-Based Interpretation of Ibn Ashur [Published Research]. Tafsir Forum. https://mtafsir.net
- ABD ALATI, A. A. (2025). The linguistic significance of the hadith and its impact on the interpretation of Surat Al-Ahzab. *Al-haq Journal for Sharia and Legal Sciences*, 583-597.
- Tafsir Center for Qur'anic Studies. (n.d.). Ibn Ashur's Attention to the Individual Meanings of Qur'anic Words: Observations and Reflections [Article]. Tafsir Center for Qur'anic Studies website. https://tafsir.net
- Al-Maktabah Al-Shamela (Comprehensive Library). (n.d.). Ibn Ashur's Tafsir (Al-Tahrir wa Al-Tanwir): Author's Biography and Introduction to the Commentary. Al-Maktabah Al-Shamela Digital Library. https://shamela.ws
- Abdullah, A. M. (2026). The reading of Muslimah ibn Muharib and its impact on interpretation. *Al-haq Journal for Sharia and Legal Sciences*, *13*(1), 18-24.
- Islamweb website. (n.d.). Al-Tahrir wa Al-Tanwir - Surah Al-Hujurat: God's saying, "And do not insult one another or call each other by [offensive] nicknames" [Article]. Islamweb Electronic Library. https://islamweb.net
- Tafsir website. (n.d.). Al-Tahrir wa Al-Tanwir by Ibn Ashur - Commentary on Surah Al-Hujurat (verses 1-18). Electronic Library of Tafsirs. http://quran-tafsir.net
- Rabbanioon website. (n.d.). The Meaning of Context, its Divisions, and its Importance [Article]. Rabbanioon website. https://rabbanioon.com
- Manar Al-Islam website. (n.d.). The Qur'anic context according to Ibn Ashur and its impact on the acceptance and rejection of hadiths [article]. Manar al-Islam website. https://islamanar.com

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JLABW** and/or the editor(s). **JLABW** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.